الرضا

الشيخ
محمود المصري
أبوعمار

مصدر هذه المادة :



الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بين يدي الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران: 102].

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء: 1].

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب: 70، 71].

أما بعد:

إن من لوازم الإيمان أن يرضى العبد

بقضاء الله وقدره خيره وشره وأن يعلم أن الأقدار لا تكـون حسب رغباته وأهوائه وإنما تكــون بحسب حكمة وتقــدير الخــالق (جل وعلا).. ونحن لسنا في مقام الاقتراح ولكننا في مقـام العبودية والتسـليم... ولـذا ينبغي علينا أن نرضى ونســـلم بقضـــاء الله (جل وعلا) في جميع أحوالنا.

فالرضا ثمرة من ثمـار المحبـة، وهو من أعلى مقامـات المقــربين، وحقيقته غامضة على الأكـــــثرين، وهو بـــــاب الله الأعظم، ومســتراح العــارفين، وجنة الــدنيا، فجــدير بمن نصح نفسه أن تشتد رغبته فيـه، وأن لا يســتبدل بغــيره منــه. ورضا الله عن العبد أكــبر من الجنة وما فيهــا؛ لأن الرضا صــفة الله والجنة خلقــه، قــال تعــالى: ﴿**وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَـرُ**﴾ [التوبـة: 72]. بعد قولـه: ﴿**وَعَـدَ اللَّهُ الْمُـؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـاتِ جَنَّاتٍ تَجْـرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَـارُ خَالِـدِينَ فِيهَا وَمَسَـــــاكِنَ طَيِّبَـــــةً فِي جَنَّاتِ عَـــــدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِـكَ هُـوَ الْفَـوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ وهــذا الرضا جــزاء على رضــاهم عنه في الدنيا، ولما كان هـذا الجـزاء أفضل

الجزاء، كان سببه أفضل الأعمال.

فتعـالوا بنا لنتعـايش بقلوبنا مع خلق من أخلاق الحـــــــبيب ﷺ عسى الله أن يرزقنا أخلاقه وأن يرزقنا صـحبته في الجنـة... إنه ولي ذلك والقادر عليه.

تعريف الرضا

الرضا مصـدر رضى يرضى وهو مـأخوذ من مـادة (ر ض و) الـتي تـدل على خلاف السخط وفي حـديث الـدعاء: **«اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك»**.

وقـال الـراغب: رضا العبد عن الله أن لا يكـره ما يجـري به قضـاؤه، ورضا الله عن العبد هو أن يراه مؤتمرًا بـأمره ومنتهيًا عن نهيه.

وقيـــل: الرضا هو ســـرور القلب بمر القضاء.

أنواع الرضا

قال شيخ الإسـلام ابن تيمية - رحمه الله -: من لزم ما يُرضي الله من امتثال أوامره واجتنـاب نواهيه لا سـيما إذا قـام بواجبها ومستحبها فإن الله يرضى عنه، كما أن من لزم محبوبات الحق أحبه الله. كما قـال في

الحديث الصحيح الذي في البخاري: «من عادى لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته...» الحديث.

وذلك أن الرضا نوعان:

أحدهما: الرضا بفعل ما أمر الله به وترك ما نهى عنه. ويتناول ما أباحه الله من غير تعد محظور: **وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ** [التوبة: 59].

وهذا الرضا واجب، ولهذا ذم من تركه بقوله: **وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ** [التوبة: 58، 59].

والنوع الثاني: الرضا بالمصائب: كالفقر والمرض والذل، فهذا رضا مستحب في أحد قولي العلماء، وليس بواجب، وقد

قيـل:إنه واجب، والصـحيح أن الـواجب هو الصـبر، كما قـال الحسـن: الرضا غريـزة، ولكن الصـبر معـول المـؤمن،... وقد روي في حديث ابن عباس أن النبي قال: «إن استطعت أن تعم بالرضا مع اليقين فافعـل، فـإن لم تسـتطع فـإن في الصـبر على ما تكره خيرًا كثيرًا»[1].

---

1 (?) مجموع الفتاوى (10/3681).

الرضا... باب اليقين الأكبر

إن الرضـا باللـه ربًّا يلزمـك أن ترضـى بأحكامه الشرعية، فترضى بـأوامره ممتثلاً، وترضـى بنواهيـه مجتنبًـا، وترضـى بأقـداره المؤلمة، فترضى بكل نعمة ومصـيبة، وكـل منـع وعطـاء، وشـدة ورخـاء، ترضـى عنـه سـبحانه إذا عافـاك وشـفاك، ومن كـل بلاء حسـن أبلاك، وترضـى عنـه إذا أمرضـك وأسـقمك، وترضـى عنـه إذا وضـعك في السجن وحيدًا فريدًا، ترضى عنـه إذا أغنـاك وحباك، وترضـى عنـه إذا أفقـرك وأعـدمك، لأنه سبحانه يحب أن يرضى عنه، فهو حكيم لا يُشك في حسن وصلاح قضائه، وهو مدبر لا يُتهم في جميل تدبيره، وهو يختار الأجمل والأكمل والأفضل لعبده، فلا يعارض اختياره بكرهٍ، ولا يصادم تقـديره بـرفض، ولا يجابـه فعله برد.

ويقبح من سواك		وتفعله فيحسن

والرضا بـاب اليقين الأكـبر، وبسـتان العبودية الأخضر وهو مسـتنزل الرحمـة، ومسـتدر الزيـادة، ومسـتوجب الرضا منه

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْـهُ [المائـدة: 119]، والرضا مطـردة للهمـوم والغمـوم، مذهبة للأحـزان، وهو علاج الـتردد والحـيرة والاضـــطراب، لأنه التســـليم بالحكمـــة، والتصـديق بالشــرع، والركـون إلى اللطف والاطمئنــان لحسن الاختيــار، من دخل بيت الرضا فهو آمن، ومن اســـــتقبل كعبته فهو مخبت، ومن صـلى في محـراب الرضا فهو حليم أواه منيب [1].

يقول الإمام ابن الجوزي - رحمه الله -:

إن الرضا من جملة ثمـــرات المعرفـــة، فــإذا عرفته رضــيت بقضــائه، وقد يجــري ضــمن القضــاء مــرارات يجد بعض طعمها الرضا.

أما العارف فتقـل عنـده المـرارة، لقـوة حلاوة المعرفـة، فـإذا تـرقى بالمعرفـة إلى المحبة، صـارت مـرارة الأقـدار حلاوة، كمـا قال القائل:

عذابه فيك عذبٌ		**وبعده فيك قرب**
وأنت عندي		**بل أنت منها أحب**

[1] (?) حدائق ذات بهجة للشيخ عائض القرني (ص: 78-79).

حسبي من الحب		لما تحب محب (2)

*** وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ***

والمعــنى أن تــذكر نعم الله عليك فــإذا هي تغمـرك من فوقك ومن تحت قـدميك ﴿وَإِنْ تَعُـــدُّوا نِعْمَـــةَ اللَّهِ لَا تُحْصُـــوهَا﴾ [إبــراهيم: 34]، صــحة في بــدن، أمن في وطن، غذاء وكساء، وهواء وماء لديك الدنيا وأنت ما تشعر، تملك الحياة وأنت لا تعلم ﴿وَأَسْـبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَـهُ ظَـاهِرَةً وَبَاطِنَـةً﴾ [لقمــان: 20]، عنــدك عينــان، ولســان وشفتان، ويدان ورجلان ﴿فَبِـأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَـذِّبَانِ﴾ [الــرحمن: 13] هل هي مســألة ســهلة أن تمشي على قــدميك، وقد بُـترت أقــــدام؟! وأن تعتمد على ســــاقيك، وقد قطعت سوق؟! أحقـير أن تنـام ملء عينيك وقد أطـــار الألم نـــوم الكثـــير؟! وأن تملأ معدتك من الطعام الشهي؟! وأن تكرع من الماء البـارد وهنـاك من عُكر عليه الطعـام، ونغص عليه الشــراب بــأمراض وأســقام؟! تفكر في سمعك وقد عــوفيت من الصــمم،

---

[2] (?) صيد الخاطر (ص: 105).

وتأمل في نظـرك وقد سـلمت من العمى، وانظر إلى جلـدك وقد نجـوت من الـبرص والجـــــــذام، والمح عقلك وقد أنعم عليك بحضوره ولم تفجع بالجنون والذهول.

أتريد في بصرك وحـده كجبل أحد ذهبًـا، أتحب بيع ســمعك وزن ثهلان فضـــة، هل تشتري قصور الزهراء بلسانك فتكون أبكم، هل تقـــايض بيـــديك مقابل عقـــود اللؤلؤ والياقوت لتكون أقطع، إنك في نعم عميمة وأفضــال جسـيمة، ولكنك لا تــدري، تعيش مهمومًا مغمومًا حزينًا كئيبًا وعنــدك الخــبز الــدافئ، والمــاء البــارد، والنــوم الهــانئ، والعافية الوارفـــة، تتفكر في المفقـــود ولا تشـكر الموجـود، تـنزعج من خسـارة مالية وعندك مفتاح السـعادة، وقنـاطير مقنطـرة من الخير والمواهب والنعم والأشياء... فكر واشـكر ﴿وَفِي أَنْفُسِـكُمْ أَفَلَا تُبْصِـرُونَ﴾ [الـذاريات: 21]، فكر في نفسك وأهلـك، وبيتــك، وعملــك، وعافيتــك، وأصــدقائك، والدنيا من حولك ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَــةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل: 83][1].

---

1 (?) حدائق ذات بهجة، الشيخ عائض القرني (ص:

*** وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ***

قوله تعالى: ﴿**وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: 216].

في هذه الآيات عدة حكم وأسرار ومصالح للعبد، فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالمحبوب، والمحبوب قد يأتي بالمكروه، لم يأمن أن توافيه المضرة من جانب المسرة، ولم ييأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرة لعدم علمه بالعواقب، فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد، ومن أسرار هذه الآية: أنها تقتضي من العبد التفويض إلى من يعلم عواقب الأمور،والرضا بما يختاره له ويقضيه له، لما يرجو فيه من حسن العاقبة.

ومنها: أنه لا يقترح على ربه، ولا يختار عليه،ولا يسأله ما ليس له به،

180-181).

فلعل مضـــــرته وهلاكه فيه وهو لا يعلم، فلا يختـــار على ربه شـــيئًا، بل يســـأله حسن الاختيار له،وأن يرضيه بما يختــاره، فلا أنفع له من ذلك.

ومنها: أنه إذا فــوض إلى ربــه، ورضي بما يختــاره لــه، أمــده فيما يختــاره له بــالقوة عليه والعزيمة والصــبر، وصــرف عنه الآفات التي هي عرضة اختيــار العبد لنفسه، وأراه من حسن عــواقب اختيــاره له ما لم يكن ليصل إلى بعضه بما يختاره هو لنفسه.

ومنهــا: أنه يريحه من الأفكــار المتعبة في أنــواع الاختيــارات، فلو رضي باختيــار الله أصــابه القــدر وهو محمــود مشــكور ملطــوف به فيــه، وإلا جــرى عليه القــدر وهو مذموم غير ملطوف به فيه، لأنه مع اختيـــاره لنفســـه، ومـــتى صح تفويضه ورضـــاه، اكتنفه في المقـــدور العطف عليه واللطف به فيصـــــــير بين عطفه ولطفــه، فعطفه يقيه ما يحــذره، ولطفه يهون عليه ما قدره [1].

---

[1] (?) الفوائد - للإمــام ابن القيم (ص: 200-202)

أهل الرضا يذوقون طعم الإيمان

والرضا من أعمال القلوب، نظير الجهاد من أعمال الجوارح؛ فإن كل واحد منهما ذروة سنام الإيمان.

قال أبو الدرداء: «ذروة سنام الإيمان: الصبر للحكم، والرضا بالقدر»[1].

وقد مدح الله أهل الرضا وأثنى عليهم وندبهم إليه، فدل ذلك على أنه مقدور لهم، وقد قال رسول الله ﷺ: **«ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا،وبمحمد رسولاً»**[2].

وقال رسول الله ﷺ: **«من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله،، رضيت بالله ربًّا، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام دينًا، غفر الله له ما تقدم من ذنوبه»**[3].

بتصرف.

[1] (?) مدارج السالكين (2/214).

[2] (?) رواه أحمد، ومسلم، والترمذي، عن العباس بن عبد المطلب.

[3] (?) رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي،

وهـذان الحـديثان عليهما مـدار مقامـات الـــدين، وإليهما ينتهي، وقد تضـــمنا الرضا بربوبيته سبحانه وألوهيته، والرضا برسـوله، والانقيـاد لـه، والرضا بدينـه، والتسـليم لـه، ومن اجتمعت له هذه الأربعة، فهو الصـديق حقًّا، وهي سـهلة بالـدعوى واللسـان، وهي من أصعب الأمـور عند الحقيقة والامتحـان، ولا سـيما إذا جـاء ما يخـالف هـوى النفس ومرادها من ذلك تبين أن الرضا كان لسـانه به ناطقًا، فهو على لسانه لا على حاله.

فالرضا بإلهيته: يتضمن الرضا بمحبته وحده، وخوفه، ورجائه، والإنابة إليه، والتبتل إليه، وانجذاب قوى الإرادة والحب كلها إليه، فعل الراضي بمحبوبه كل الرضا، وذلك يتضمن عبادته
والإخلاص له.

والرضا بربوبيتـــه: يتضـــمن الرضا بتــدبيره لعبــده، ويتضــمن إفــراده بالتوكل عليـه، والاسـتعانة بـه،والثقة بـه، والاعتمـاد عليه، وأن يكون راضيًا بكل ما يفعل به.

والنســــــــــائي، وابن ماجـــــــــــه، عن سعد.

فالأول: يتضمن رضاه بما يؤمر به، والثاني: يتضمن رضاه بما يقدر عليه.

وأما الرضا بنبيه رسولاً: فيتضمن كمال الانقياد له، والتسليم المطلق إليه، بحيث يكون أولى به من نفسه، فلا يتلقى الهدى إلا من موقع كلماته، ولا يحاكم إلا إليه، ولا يحكم عليه غيره، ولا يرضى بحكم غيره ألبتة، لا في شيء من أسماء الرب وصفاته وأفعاله، ولا في شيء من أذواق حقائق الإيمان مقاماته، ولا في شيء من أحكام ظاهره وباطنه، لا يرضى في ذلك بحكم غيره، ولا يرضى إلا بحكمه، فإن عجز عنه كان تحكيمه غيره من باب غذاء المضطر إذا لم يجد ما يقيته إلا من الميتة والدم، وأحسن أحواله: أن يكون من باب التراب، الذي إنما يتيمم به عند العجز عن استعمال الماء الطهور.

وأما الرضا بدينه: فإذا قال، أو حكم، أو أمر، أو نهى: رضي كل الرضا، ولم يبق في قلبه حرج من حكمه، وسلم له تسليمًا، ولو كان مخالفًا لمراد نفسه أو هواها، أو قول مقلده وشيخه وطائفته.

وههنا يوحشك الناس كلهم إلا الغرباء في العالم، فإياك أن تستوحش من الاغتراب والتفرد، فإنه والله عين العزة، والصحبة مع الله ورسوله، وروح الأنس به، والرضا به ربًّا، وبمحمد ﷺ رسولاً، وبالإسلام دينًا.

بل الصادق كلما وجد مس الاغتراب، وذاق حلاوته وتنسم روحه، قال: اللهم زدني اغترابًا، ووحشة من العالم، وأنسًا بك،وكلما ذاق حلاوة هذا الاغتراب وهذا التفرد، رأى الوحشة عين الأنس بالناس، والذل عين العز بهم، والجهل عين الوقوف مع آرائهم، وزبالة أذهانهم، والانقطاع عين التقيد برسومهم وأوضاعهم، فلم يؤثر بنصيبه من الله أحدًا من الخلق، ولم يبع حظه من الله بموافقتهم فيما لا يجدي عليه إلا الحرمان. وغايته: مودة بينهم في الحياة الدنيا، فإذا انقطعت الأسباب، وحقت الحقائق، وبعثر ما في القبور،وحصل ما في الصدور، وبليت السرائر، ولم يجد من دون مولاه الحق من قوة ولا ناصر: تبين له

حينئذ مواقع الــربح والخســران، وما الــذي يخف أو يرجح به الميزان، والله المسـتعان، وعليه التكلان [1].

---

[1] (?) مدارج السالكين (2/ 172-173).

الأنبياء... ونعمة الرضا

ومما لا شك فيه أن الأنبياء والمرسلين (صلوات ربي وسلامه عليهم) هم أرضى الناس عن الخالق (جل وعلا):

* عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «لما كان بين إبراهيم وبين أهله ما كان خرج بإسماعيل وأم إسماعيل، ومعهم شَنَّة[1] فيها ماء، فجعلت أم إسماعيل تشرب من الشنة فيدر لبنها على صبيها حتى قدم مكة فوضعها تحت دوحة [2]، ثم رجع إبراهيم إلى أهله فاتبعته أم إسماعيل حتى لما بلغوا كداء نادته من ورائه: يا إبراهيم إلى من تتركنا؟ قال: إلى الله، قالت: رضيت بالله»[3].

عن أبي رجاء محمد بن سيف قال: سمعت الحسن يقول في قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ...﴾ [البقرة: 124] قال: «ابتلاه بالكوكب فرضي عنه، وابتلاه بذبح ابنه فرضي عنه، وابتلاه بالهجرة فرضي عنه وابتلاه بالنار فرضي

---

1 (?) الشَنَّة: هي القربة الصغيرة.

2 (?) الدوحة: الشجرة الكبيرة.

3 (?) البخاري - الفتح 6(3365).

عنه،وابتلاه بالختان فرضي عنه»[1].

* قـال عبد الله بن المبـارك: قـال داود لابنه سليمان عليهما السـلام: «يا بـني، إنما تسـتدل على تقـوى الرجل بثلاثة أشـياء: لحسن توكله على الله فيما نابـه، ولحسن رضـاه فيما آتـاه، ولحسن زهـده فيما فاته»[2].

* رسول الله ﷺ... ورضا فوق الخيال *

كان رضا رسول الله ﷺ عن ربه فـوق ما يصـفه الواصـفون، فهو راضٍ في الغـنى والفقـر، راضٍ في السـلم والحـرب، راض وقت القـوة والضـعف، راض وقت الصـحة والسقم، راض في الشدة والرخاء.

عـاش ﷺ مـرارة اليُتم، وأسى اليُتم، ولوعة اليتيم فكان راضيًا، وافتقر ﷺ حتى ما يجد دقل التمـر، وكـان يربط الحجر على بطنه من شدة الجوع، ويقترض شـعيرًا من يهـودي ويـرهن درعه عنـده، وينـام على الحصير فيـؤثر في جنبـه، وتمر ثلاثة أيـام لا

---

1 (?) الرضا عن الله لابن أبي الدنيا (ص: 110).
2 (?) الدر المنثور - السيوطي (1/ 62).

يجد شيئًا يأكله، ومع ذلك كان راضيًا عن الله رب العالمين: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا**﴾ [الفرقان: 10].

ورضى عن ربه وقت المجابهة الأولى، يوم وقف هو في حزب الله، ووقفت الدنيا - كل الدنيا - تحاربه بخيلها ورجلها، بغناها وبزخرفها، بزهوها وبخيلائها، فكان راضيًا عن الله رضي عن الله في الفترة الحرجة، يوم مات عمه وزوجته خديجة، وأوذي أشد الأذى، وكُذّب أشد التكذيب، وخدشت كرامته، ورمي في صدقه، فقيل له: كذاب وساحر، وكاهن ومجنون وشاعر.

ورضى يوم طُرد من بلده ومسقط رأسه التي فيها مراتع صباه وملاعب طفولته وأفانين شبابه، فيلتفت إلى مكة وتسيل دموعه، ويقول: «إنك أحب بلاد الله إلي، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت».

ورضى عن الله وهو يذهب إلى الطائف ليعرض دعوته، فيواجه بأقبح رد، وبأسوأ

استـقبال، ويـرمي بالجـارة، حـتى تسـيل قدماه، فيرضى عن مولاه.

ويرضى عن الله وهو يخـــرج من مكة مُرغمًا، فيسير إلى المدينة ويطارد بالخيـل، وتوضع العراقيل في طريقه أينما ذهب.

يحضر أحـــدًا فيُشج رأســه، وتكسر ثنيتـه، ويُقتل عمه ويُـذبح أصـحابه، ويُغلب جيشـه، فيقـول: «صُـفوا ورائي لأثـني على ربي».

يرضى عن ربه وقد ظهر خلف كـــافر ضـده من المنـافقين واليهـود والمشـركين، فيقف صـامدًا متـوكلاً على اللـه، مفوضًـا الأمر إليه.

وجـزاء هـذا الرضا منه : **وَلَسَـوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** [الضحى: 5][1].

النبي يعلم الأمة الرضا بقضاء الله (جل وعلا)

وها هو يعلم الأمة الرضا بقضـــاء الله (جل وعلا) بل ويبــــدأ هو بنفسه .. فعند مـوت ابنه إبـراهيم (عليه السـلام) قـال :

[1] (?) لا تحزن، الشيخ عائض القـرني (ص: 451 - 453).

«إن العين تــدمع والقلب يحــزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[1].

وعن أبي موسى الأشــعري - رضي الله عنه - أن رســول الله قــال: **«إذا مــات ولد العبد، قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبـدي؟ فيقولـون: نعم فيقـول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولـون: نعم، فيقول: ماذا قال عبـدي؟ فيقولـون: حمدك واسترجع، فيقول اللـه: ابنـوا لعبــدي بيتًا في الجنة وســموه بيت الحمد»**[2].

وعن صـهيب رضي الله عنه قــال: قــال رســول الله **«عجبًا لأمر المــؤمن إن أمـــره كله خـــير، وليس ذاك لأحد لا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له وإن أصابته ضراء صبر فكـان خيرًا له»**[3].

---

1 (?) أخرجه البخاري (1303)، ومسـلم (2315)، واللفظ للبخاري.

2 (?) رواه الترمذي (1021) وحسنه الألباني.

3 (?) أخرجه مسلم (2999).

وعن أبي هريـــرة - رضي الله عنه - أن رسولا الله قـال: «**يقول الله تعـالى: ما لعبـدي المـؤمن عنـدي جـزاء إذا قبضت صـــفيه من أهل الـــدنيا ثم احتسبه إلا الجنة**»[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله : «**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمد عليها**»[2].

وعن أبي الـــدرداء - رضي الله عنه - أن النـبي قـال: «ألا أنـبئكم بخـير أعمالـك، وأرضـــــــــاها عند مليككم، وأرفعها في درجـاتكم، وخـير لكم من إعطـاء الـذهب والـورق - الفضـة- ومن أن تلقـوا عـدوكم فتضـربوا أعناقهم، ويضـربوا أعنـاقكم؟» قـالوا:وما ذاك يا رسـول اللـه؟ قـال: «ذكر الله»[3].

---

1 (?) أخرجه البخاري (6424).

2 (?) أخرجه مسلم (2734).

3 (?) رواه الترمـذي وابن ماجه وصـححه الألبـاني في صحيح ابن ماجه (3057).

وكان يعلم الأمة هذا الذكر في السفر:

عن ابن عمر - رضي الله عنهما- أن رسول الله كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر كبر ثلاثًا، ثم قال: « سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى...»[1].

وكان يحذر الأمة من الحرص على رضا البشر دون رب البشر (جل وعلا).

* عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سمعت رسول الله يقول: «من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس»[2].

بل وأخبر النبي أصحابه وأمته بهذا المشهد الجليل ليحرصوا على الفوز برضوان الله (جل وعلا).

*عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

---

1 (?) أخرجه مسلم (1342).

2 (?) رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (1967).

دعا رسول الله على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحًا يدعو على رعل وذكوان ولحيان وعصية عصت الله ورسوله، قال أنس: أنزل الله - عز وجل - في الذين قتلوا ببئر معونة قرآنًا قرأناه حتى نُسخ بعد أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا، ورضينا عنه [1].

* ومن أجل أن يحرصوا كل الحرص على رضوان الله ويصبروا على قضائه كان النبي يذكر لهم أن من كان حريصًا في الدنيا على مرضاة الله فإن الله (جل وعلا) سيرضيه في الآخرة.

فها هو الحق (جل وعلا) يقول - كما عند مسلم - لأدنى أهل الجنة منزلة يوم القيامة: «.. أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله ممثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيت

---

1 (?) أخرجه البخاري (3046) ومسلم (677) واللفظ لمسلم.

رب...»ـ

بل ويقـــــول الحق (جل وعلا) لآخر من يــدخل الجنة - كما عند مســلم -: «أترضى أن أعطيك الدنيا مثلها معها؟ فيقول العبــد: أتستهزئ مني وأنت رب العـالمين؟ فيقـول الحق (جل وعلا): «إني لا أســـــتهزئ منك ولكني على ما أشاء قادر».

موقفه الجليل مع الأنصار

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن أناسًا من الأنصار قالوا يوم حنين حين أفــاء الله على رسوله من أموال هـوازن ما أفـاء فطفق رســـول الله ﷺ يعطي رجـــالاً من قــريش المائة من الإبــل، فقــالوا:يغفر الله لرسول الله، يعطي قريشًا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمــائهم. قـــال أنس بن مالـــك: فحـــدث ذلك رســـول الله ﷺ من قـــولهم: فأرسل إلى الأنصــــار، جمعهم في قبة من أدم، فلما اجتمعــوا جــاءهم رســول الله ﷺ فقال: «ما حديث بلغني عنكم؟ » فقــال له فقهاء الأنصار: أما ذوو رأينـا، يا رسـول الله فلم يقولـــوا شـــيئًا، وأما أنـــاس منا حديثة

أسـنانهم، قـالوا: يغفر الله لرسـوله، يعطي قريشًا ويتركنا، وسيوفنا تقطر من دمـائهم، فقــال رســول الله ﷺ: «إني أعطي رجــالاً حـديثي عهد بكفر أتـألفهم [1]، أفلا ترضـون أن يـذهب النـاس بـالأموال، وترجعـون إلى رحـــالكم [2] برســـول اللـــه؟ فواللـــه، لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به، فقالوا: بلى يا رســول اللــه، قد رضــينا، قــال: فــإنكم سـتجدون أثـرةً شـديدة [3]، فاصـبروا حـتى تلقـوا الله ورسـوله، فـإني على الحـوض». قالوا: سنصبر [4].

سلفنا الصالح... ونعمة الرضا

عن ســـعيد بن مرثد الهمـــداني، أن أبا الــدرداء قــال: «ذروة الإيمــان أربع خلال: الصـــبر للحكم،والرضا بالقـــدر، والإخلاص

---

1 (?) أتألفهم: أي استميل قلوبهم بالإحسان ليثبتوا على الإسلام، رغبة في المال.

2 (?) رحالكم:أي منازلكم.

3 (?) أثــرة شــديدة: أي يســتأثر عليكم، ويفضل عليكم غيركم بغير حق.

4 (?) البخـاري - الفتح (3793)، مسـلم (1059) واللفظ له.

للتوكل، والاستسلام للرب عز وجل»[1].

وكان عمـران بن الحصـين قد استسـقى بطنه، فبقي ملقى على ظهره ثلاثين سـنة، لا يقوم ولا يقعد، قد نقب له في سـرير من جريد كـان عليه - موضع لقضـاء حاجتـه، فـدخل عليه مطـرف وأخـوه العلاء فجعل يبكي لما يـراه من حالـه، فقـال:لم تبكي؟ قال: لأني أراك على هـذه الحالة العظيمـة، قال لا تبك، فإن أحبه إلى الله تعـالى، أحبه إلي، ثم قـال أحـدثك حـديثًا لعل الله أن ينفعك بـه، واكتم علي حـتى أمـوت، إن الملائكة تـزورني فـآنس بهـا، وتسـلم علي فأسمع تسليمها، فأعلم بـذلك أن هـذا البلاء ليس بعقوبـة، إذ هو سـبب هـذه النعمة الجسيمة، فمن يشاهد هـذا في بلائـه، كيف لا يكون راضيًا به؟!![2].

وفي رواية أخرى في صحيح مسـلم عن مطرف قـال: بعث إلي عمـران بن حصـين

---

1 (?) إسناده صحيح: وأخرجه ابن المبارك (123) كما في زوائد نعيم بن حمـاد، وزاد: «ولـولا ثلاث خلال، صـلح النـاس: شح مطـاع،وهـوى متبـع، وإعجاب المرء بنفسه».

2 (?) الرضا عن الله (ص: 92-93).

في مرضه الذي توفي فيه، فقال: إني كنت محـــدثك بأحـــاديث، لعل الله أن ينفعك بها بعــدي فــإن عشت فــاكتم عــني، وإن مت فحدث بها إن شئت... إنه قد سُــلم علي [1] واعلم أن النـبي قد جمع بين حج وعمـرة ثم لم ينزل فيها كتاب الله ولم ينه عنها نبي الله قال رجل فيها برأيه ما شاء.

وعن مطرف قـال: قـال لي عمـران بن حصـين أحـدثك حـديثًا عسى الله أن ينفعك به إن رســول الله جمع بين حج وعمــرة ثم لم ينه عنه حــتى مــات، ولم يــنزل فيه قـرآن يحرمـه، وقد كـان يسـلم علي حـتى اكتويت فتركت ثم تركت الكي فعاد [2].

---

1 (?) يعــني أن الملائكة ســلمت عليــه؛ ومــراده بقولـه: (إن عشت فـاكتم عـني، وإن مت فحـدث بها إن شـئت) أي لا تخـبر أحـدًا في حيـاتي أني أخبرتك أن الملائكة تسـلم علي، وذلك والله أعلم خشية الفتنة بإشاعة هذا الأمر بين الناس.

2 (?) قـــال النـــووي - رحمه الله - في «شـــرح مسلم»: ومعنى الحديث أن عمـران بن حصـين - رضي الله عنه - كــانت به بواســير فكــان يصــبر على المهمات وكانت الملائكة تسلم عليه فاكتوى فانقطع سلامهم عليه ثم ترك الكي فعاد سـلامهم عليه.

* لما قدم سعد بن أبي وقاص إلى مكة، وقد كان كف بصـره جـاءه النـاس يهرعـون إليه، كل واحد يسـأله أن يـدعو لـه، فيـدعو لهذا ولهذا، وكان مجـاب الـدعوة. قـال عبد الله بن السـائب: فأتيته وأنا غلام، فتعـرفت عليه فعرفني، وقال: أنت قارئ أهل مكــة؟ قلت.: نعم، فــذكر قصة قــال في آخرهــا: فقلت لــه: يا عم، أنت تــدعو للنــاس فلو دعــوت لنفســك، فــرد الله عليك بصــرك! فتبسم، وقـال: يا بـني، قضـاء الله سـبحانه عندي أحسن من بصري [3].

* وعن عبد العزيز بن ســـــبرة عن أبيه عن جده قــال: لما هلك عبد الملك بن عمر بن عبد العزيــز، وســهل بن عبد العزيــز، ومزاحم مولى عمر، في أيام متتابعـة، دخل عليه الربيع بن ســبرة فقـــال: عظم الله أجــرك يا أمــير المؤمــنين، ما رأيت أحــدًا أصيب بأعظم من مصيبتك في أيام متتابعة، والله ما رأيت مثل ابنك ابنًــا، ولا مثل أخيك أخًــا، ولا مثل مــولاك مــولى قــط. فطأطأ رأســه، فقــال لي رجل معه على الوســاد:

---

3 (?) مدارج السالكين (2/227).

لقد هيجت عليه، قال: ثم رفع رأسه فقـال: كيف قلت لي يا ربيع؟ فأعدت عليه ما قلت أولاً، فقال:لا، والذي قضى عليهم - المـوت، ما أحب أن شيئًا كان من ذلك لم يكن».

* وقـال عمر بن عبد العزيز رحمه اللـه: لقد تركتني هـؤلاء الـدعوات، وما لي شـيء من الأمـــور كلها أرب إلا في مواقع قـــدر اللـه... وكـان كثـيرًا ما يـدعو: اللهم رضـني بقضائك، وبارك لي في قدرك، حتى لا أحب تعجيل شـــيء أخرته ولا تـــأخير شـــيء عجلته[1].

* وقـــال ابن شـــوذب: اجتمع مالك بن دينـــار،ومحمد بن واسع فتـــذاكرا العيش، فقال مالـك: ما شـيء أفضل من أن يكـون للرجل غلة يعيش فيها، وقال محمد: طوبى لمن وجد غداء ولم يجد عشاء، ووجد عشاء ولم يجد غــــداء، وهو عن الله - عز وجل - راضٍ والله عنه راضٍ[2].

* وعن سفيان بن عيينـة، عن رجل وعن محمد بن علي ابن الحســـــين أبي جعفر

---

1 (?) مدارج السالكين (2/225).
2 (?) الرضا عن الله (ص: 52-53).

الباقرة: «أن بعض أهله اشتكى فوجد عليه، ثم أخبر بموته فسُـري عنه فقيل له فقـال: ندعو الله فيما نحب، فإذا وقع ما نكـره، لم نخالف الله فيما أحب»[1].

وعن أحمد بن أبي الحـــــواري قــــال: سـمعت أبا سـليمان الـداراني قـال: «أرجو أن أكـــون قد رزقت من الرضا طرفًـــا، لو أدخلني النار لكنت بذلك راضيًا [2].

*** حلاوة أجرها أنستني مرارة قطعها***

وهـــذه زوجة فتح الموصـــلي انقطعت إصبعها فضحكت فقـال لها بعض من معهـا: أتضـحكين، وقد انقطع إصـبعك؟! فقـالت: أخاطبك على قـــدر عقلــك، حلاوة أجرها أنستني مرارة قطعها.

قـال ابن القيم: إشـارة إلى أن عقلـه لا يحتمل ما فوق هذا المقام، من ملاحظة المبتلى، ومشاهدة حسن اختياره لها في ذلك البلاء، وتلذذها بالشكر له والرضا عنـه، ومقابلة ما جاء من قبله بالحمد والشكر، كما قيل:

لئن ساءني أن خطرت ببالكا[3]

1 (?) الرضا عن الله (ص: 95).
2 (?)الرضا عن الله (ص: 50).

*** عروة بن الزبير (رضي الله عنه) ***

وها هو عروة بن الزبير - رضي الله عنه - الــذي يُضــرب به لمثل في الصــبر على البلاء والرضا بقضـــاء الله تعـــالى... ها هو يتعـرض لهـذا البلاء الشـديد الـذي سـيظل العلماء والخطبـاء يرددونه من على المنـابر وفي مجالس العلم في كل زمـان، بل وفي كل مكان.

فعن هشـــام بن عـــروة عن أبيه قـــال: وقعت الأكلة في رجله فقيل لــه: ألا نــدعو لك طبيبًـا؟ قـال: إن شـئتم فجـاء الطـبيب، فقال: أسقيك شرابًا يزول فيه عقلك فقـال امض لشـــأنك ما ظننت أن خلقًا يشـــرب شرابًا ويزول فيه عقله حتى لا يعـرف ربـه، قـال: فوضع المنشـار على ركبته اليسـرى ونحن حوله فما سمعنا له حسًّا فلما قطعها جعل يقـــول: لئن أخـــذت لقد أبقيت، ولئن ابتليت لقد عـــافيت،... وما تـــرك حزبه من القراءة تلك الليلة [1].

* وقـال عـامر بن صـالح عن هاشم بن

---

[3] (?) مدارج السالكين (2/168).

[1] (?) تهذيب الكمال (20/ 20-21).

عــروة: إن أبــاه خــرج إلى الوليد بن عبد الملك حتى إذا كان بـوادي القـرى وجد في رجله شيئًا فظهـرت به قرحـة، ثم تـرقى به الوجع، فلما قدم على الوليد قال: يا أبا عبد الله اقطعها، قال: دونك. فـدعا له الطـبيب وقال له: اشرب المرقد فلم يفعل، فقطعها من نصف الساق، فما زاد على قولـه: حس حس، فقال الوليد: ما رأيت شيخًا أصبر من هذا.

وأصـيب عـروة في هـذا السـفر بابنه محمد، ركضته بغلة في إسطبل فلم نسـمع منه كلمة في ذلك، فلما كان بـوادي القـرى قال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَـفَرِنَا هَـذَا نَصَـبًا﴾ [الكهف: 62]، اللهم كـان لي بنـون سـبعة فأخــذت منهم وأبقيت لي ســتة، وكــان لي أطـراف أربعة فأخـذت طرفًا وأبقيت ثلاثًـا، فـإن ابتليت لقد عـافيت، ولئن أخــذت لقد أبقيت [1].

رضيت عن الله

خرج رجل من بني عبس يبحث عن إبلـه التي ضلت، فذهب والتمسـها، ومكث ثلاثـة

[1] (?) تاريخ الإسلام (6/247).

أيــام في غيابــه، وكــان هــذا الرجــل غنيًــا، أعطاه الله ما شاء من المال والإبل والبقــر والغنم والبنيين والبنــات، وكــان هــذا المــال والأهل في منزل رحب، على ممر سيل في ديــار بــني عبس، في رغــد وأمن أمــان، لم يفكر والدهم ولم يفكر أبنــاؤه أن الحــوادث قد تزورهم، وأن المصائب قد تجتاحهم.

يا راقد الليل إن الحوادث قد

نــــام الأهل جميعًا كبــــارهم وصـــــغارهم، معهم أموالهم في أرض مستوية، ووالــدهم غائب يبحث عن ضــالته، وأرسل الله عليهم ســــيلاً جارفًا لا يلــــوى على شــــيء، يحمل الصخور كما يحمل الــتراب، ومر عليهم في آخر الليل، فاجتاحهم جميعًــا، واقتلع بيــوتهم من أصلها، وأخذ الأمــوال معه جميعًــا، وأخذ الأهل جميعًــــا، وزهقت أرواحهم مع تـــدفق المــاء، وصــاروا أثــرًا بعد عين، فكــأنهم لم يكونوا، صاروا حديثًا يتلى على اللسان.

وعــاد الأب بعد ثلاثة أيــام إلى الــوادي، فلم يحس أحدًا،ولم يسمع رافدًا، لا حي ولا نــاطق ولا أنيس، المكــان قــاع صفصــف، يا

الله!! يا للداهية الــدهياء!! لا زوجة لا ابن لا ابنــة، لا ناقة لا شــاة لا بقــرة، لا درهم لا دينار، لا ثوب لا شيء، إنها مصيبة !!

وزيادة في البلاء: إذا جمل من جماله قد شرد، فحاول أن يدركه وأخذ بذيله، فرفسه الجمل على وجهه فــأعمى عينيــه، وأخذ الرجل يصيح في الصحراء عله أن يجد رجلا ً يقــوده إلى مكــان يــأوي إليــه، وبعد حين ووقت من هذا اليـوم سـمعه أعـرابي آخـر، فــأتى إليه وقــاده، وذهب به إلى الوليد بن عبد الملك الخليفة في دمشــق، وأخــبره الخبر، فقـال: كيف أنت؟ قـال: رضـيت عن الله.

من فوائد الابتلاءات

*** من فوائد المصائب:**

استخراج مكنـون عبودية الـدعاء، قـال أحــدهم: ســبحان من اســتخرج الــدعاء بــالبلاء... وذكــروا في الأثــر: أن الله ابتلى عبــدًا صــالحًا من عبــاده وقــال لملائكتــه: لأسمع صوته، يعني: بالدعاء والإلحاح.

ومنهــا: كسر جمــاح النفس وغيهــا، لأن الله يقول: **كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ**

رَآَهُ اسْتَغْنَى [العلق: 6، 7].

ومنهـا: عطف النـاس وحبهم ودعـاؤهم للمصاب، فإن الناس يتضامنون ويتعاطفون مع من أصيب ومن ابتلي.

ومنهـــا: صـــرف ما هو أعظم من تلك المصيبة، فإنها صغيرة بالنسـبة لأكـبر منهـا، ثم هي كفارة للـذنوب والخطايـا، وأجر عند الله ومثوبـة، فـإذا علم العبد أن هـذه ثمـار المصيبة أنس بها وارتاح، ولم ينزعج ويقنط **إِنَّمَا يُـوَفَّى الصَّـابِرُونَ أَجْـرَهُمْ بِغَيْـرِ حِسَـــــــــــــــــــــــــابٍ** [الزمر: 10][1].

لقد رضي الله عن المؤمنين

قــال تعــالى: **لَقَــدْ رَضِــيَ اللَّهُ عَنِ الْمُــؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَـكَ تَحْتَ الشَّــجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُـوبِهِمْ فَـأَنْزَلَ السَّـكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا** [الفتح: 18].

إن الفــوز برضــوان الله (جل وعلا) هو غاية ما يتمنـــاه المؤمنـــون الصـــادقون، فرضـــوان الله (جل وعلا) أعظم من نعيم الجنة الـــتي فيها مـــالا عين رأت ولا أذن

---

[1] (?) لا تحزن (ص: 287).

سمعت ولا خطر على قلب بشر.

عن أبي سعيد الخــدري - رضي الله عنه - أن رسول الله قــال: «إن الله عز وجل يقول لأهل الجنـة: يا أهل الجنـة، فيقولـون: لبيك ربنا وســـعديك، والخـــير في يـــديك فيقــول: هل رضــيتم؟ فيقولــون: وما لنــالا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحـــدًا من خلقك فيقـــــول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقــول: أحل عليكم رضــواني، فلا أســخط عليكم بعده أبدًا»[1].

* ولذلك فهم أحرص النـاس على الفـوز برضــوان الله في الــدنيا والآخــرة فــبيعتهم بيعة لأرواحهم الثمينة عنــــدهم لـــــتزهق لمرضـــاة الملك الحـــق، وبيعة لأنفســـهم النفيسة لتــذهب لمرضـــاة الواحد القهــار، وبيعة لوجــودهم وحيــاتهم لأن في مــوتهم حياة للرسالة.

ولأن فيقتلهم خلـــــــودًا للملة ولأن في ذهــابهم بقــاء للميثــاق، لقد تعبـوا وسـهروا، وجاعوا وظمئوا، وأصابهم الضــرر والضــيق،

---

1 (?) أخرجه البخاري (6549)، وسلم (2829).

والمشقة والضنى، لكنه رضي عنهم.

لقد فـــارقوا الأهل والأمـــوال والأولاد والديار، وذاقوا مرارة الفـراق ولوعة الغربة ووعثـاء السـفر وكآبة الارتحـال، لكنه رضي عنهم، لقد شـردوا وطـردوا وفرقـوا وتعبـوا وأجهدوا، لكنه رضي عنهم.

هل جزاء هؤلاء المجاهـدين والمنـافحين عن الملــة: غنــائم من إبل وبقر وغنم؟ هل مكافــأة هــؤلاء المناضــلين عن الرســالة الذابين عن الدين: عروض ماليـة؟ هل تظن أنه يــبرد غليل هــؤلاء الصــفوة المجتبــاة والنخبة المصــــطفاة، دراهم معــــدودة أو بسـاتين غنـاء أو دور منمقــة؟ لا. يرضــيهم رضــوان اللــه، ويفــرحهم عفو اللــه، ويثلج صدورهم كلمة: ﴿**وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيــرًا * مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَــذْلِيلًا * وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآَنِيَةٍ مِنْ فِضَّــةٍ وَأَكْـوَابٍ كَـــانَتْ قَــوَارِيرَ * قَــوَارِيرَ مِنْ فِضَّـــةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا**﴾ [الإنسان: 12-16][1].

1 (?) لا تحزن - الشيخ عائض القرني (ص: 455).

كلام من ذهب

قـــــال الربيع بن أنس: علامة حب اللــه: كـثرة ذكـره، فإنك لا تحب شـيئًا إلا أكـثرت من ذكـره، وعلامة الـدين: الإخلاص لله في السر والعلانيـــة، وعلامة الشـــكر: الرضا بقدر الله والتسليم لقضائه.

وقــال بعض العــارفين: من يتوكل على اللـــه، ويرضى بقـــدر اللـــه، فقد أقـــام الإيمـان،وفـرغ يديه ورجليه لكسب الخـير، وأقـام الأخلاق الصـالحة الـتي تُصـلح للعبد أمره.

والرضا يفتح بـــاب حسن الخلق مع الله تعـالى ومع النـاس، فـإن حسن الخلق من الرضـا، وسـوء الخلق من السـخط. وحسن الخلق يبلغ بصـاحبه درجة الصـائم القـائم، وسوء الخلق يأكل الحسنات كما تأكل النـار الحطب.

* **وفي وصـــية لقمـــان لابنـــه: «أوصــيك بخصــال تقربك من اللــه، وتباعدك من سـخطه: أن تعبد الله لا تشــرك به شــيئًا، وأن ترضى بقــدر**

الله فيما أحببت وكرهت».

وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى - رضي الله عنهما -: «**أما بعد، فإن الخير كله في الرضى، فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر»**.

* قال ابن القيم - رحمه الله -: «**ثمرة الرضى: الفرح والسرور بالرب تبارك وتعالى»**.

* قال محمود الوراق:

أعييت كل الناس إلا الحسود فإنه

ما إن لي ذنبًا إليه إلا تظاهر نعمة

وأبى فما يرضيه وقطع لساني[1]

وقال المتنبي:

وعين الرضى عن المساويا [2]

وقال عبد العزيز بن أبي رواد: «ليس الشأن في أكل خبز الشعير والخل، ولا في لبس الصوف والشعر، ولكن الشأن في الرضا عن الله عز وجل»[3].

وقال شقيق البلخي: من يرى ثواب

---

1 (?) أدب الدنيا والدين - للماوردي (ص: 383).

2 (?) مدارج السالكين (2/ 183).

3 (?) الإحياء (4/365).

الشدة، لا يشتهي الخروج منها.

وعن وهب بن منبه قال: «وجدت في زبور داود: يا داود: هل تدري من أسرع الناس مرورًا على الصراط؟ الذين يرضون بحكمي، وألسنتهم رطبة من ذكري».

وعن الحسين بن علي بن يزيد قال: قال رجل لفتح الموصلي: ادع الله، فقال: «اللهم هبنا عطاءك، ولا تكشف عنا غطاءك، وأرضنا بقضائك»[1].

الرضا بالله أعلى من الرضا من الله

والرضا بالله أعلى شأنًا وأرفع قدرًا من الرضا عن الله في أحكامه وأقضيته، فإنها مختصة، والرضا عن الله مشترك، فإن الرضا بالقضاء يصح من المؤمن والكافر، وغايته التسليم لقضاء الله وقدره، فأين هذا من الرضا به ربًا وإلهًا ومعبودًا؟!

والرضا به ربا فرض، بل هو من آكد الفروض باتفاق الأمة، فمن لم يرض به ربا لم يصح له إسلام ولا عمل ولا حال.

وأما الرضا بقضائه: فأكثر الناس على أنه مستحب وليس بواجب، وقيل: بل هو

[1] (?) الرضا عن الله (ص: 115).

واجب وهما قولان في مذهب أحمد.

فـالفرق بين الـدرجتين فـرق مـابين الفـــرض والنـــدب وفي الحـــديث الإلهي الصـحيح: يقـول الله عز وجـل: «ما تقـرب إلي عبـدي بمثل أداء ما افترضـته عليـه» فـدل على أن التقـرب إليه سـبحانه بـأداء فرائضه أفضل وأعلى من التقـــــرب إليه بالنوافل.

وأيضًا: فـإن الرضا به ربًّا يتضـمن الرضا عنه ويسـتلزمه، فـإن الرضا بربوبيتـه: هو رضا العبد بما يأمره به وينهاه عنه، ويقسمه له ويقدره عليـه، ويعطيه إيـاه ويمنعه عنـه، ويقسـمه له ويقـدره عليـه، ويعطيه إيـاه ويمنعه منه. فمتى لم يرض بـذلك كلـه، لم يكن قد رضي بالله ربًّا من جميع الوجـــوه، وإن كان راضيًا به ربًّا من بعضها، فالرضا به ربًّا من كل وجـــه: يســتلزم الرضا عنـــه، ويتضمنه بلا ريب.

وأيضًـــــا: فالرضا به ربًا متعلق بذاته وصفاته وأسمائه، وربوبيته العامة والخاصة، فهو الرضا به خالقًا ومـدبرًا، وآمـرًا وناهيًـا، ومعطيًا ومانعًـــا، وحكمًـــا، ووكيلاً ووليًـــا،

وناصـرًا، ومعينًـا، وكافيًـا، وحسـيبًا ورقيبًـا، ومبتليًا ومعافيًا، وقابضًـا وباسـطًا، إلى غـير ذلك من صفات ربوبيته.

وأما الرضا عنــــــه: فهو رضا العبد بما يفعله بـه، ويعطيه إيـاه، ولهـذا لم يجيء إلا في الثواب والجزاء، كقوله تعالى: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً**﴾ [الفجـر: 27، 28]، فهـذا برضـــاها عنه لما حصل لها من كرامتـــه، كقوله تعـالى: ﴿**خَالِـدِينَ فِيهَا أَبَـدًا رَضِـيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِـيَ رَبَّهُ**﴾ [البينة: 8].

والرضا بـــه: أصل الرضا عنـــه، والرضا عنه: ثمرة الرضا به.

وسر المســـــــألة: أن الرضا به متعلق بأسمائه وصفاته، والرضا عنه: متعلق بثوابه وجزائه.

وأيضًـــا: فـــإن النـــبي ﷺ علق ذوق طعم الإيمان بمن رضي بالله ربًا، ولم يعلقه بمن رضي عنـــــه، كما قـــــال ﷺ: «**ذاق طعم الإيمـــــــان من رضي بالله ربــــــا،**

وبالإسـلام دينًـا، وبمحمد رسـولاً».
فجعل الرضا به قــرين الرضا بدينه ونبيــه، وهــذه الثلاثة هي أصـول الإسـلام، الـتي لا يقوم إلا بها وعليها.

وأيضًــا: فالرضا به ربًا يتضــمن توحيــده وعبادته، والإنابة إليه، والتوكل عليه، وخوفه ورجاءه ومحبتـه، والصـبر له وبـه، والشـكر على نعمــه: يتضــمن رؤية كل ما منه نعمة وإحسانًا، وإن ساء عبده [1].

***الرضا عن الله يصح بثلاثة شروط ***

الأول: استواء النعمة والبلية عند العبد؛ لأنه يشاهد حسن اختيار الله له.

الثاني: سـقوط الخصـومة عن الخلـق، إلا فيما كــان حقًّا لله رســوله، فالراضي لا يخاصم ولا يعـاتب إلا فيما يتعلق بحق اللــه، وهذه كانت حال رسول الله فإنه لم يكن يخاصم أحـــدًا ولا يعاتبه إلا فيما يتعلق بحق اللــه، كما أنه كـان لا يغضب لنفســه، فـإذا انتهكت محــارم الله لم يقم لغضــبه شــيء حـتى ينتقم للــه. فالمخاصـمة لحظ النفس تطفئ نــور الرضا وتــذهب بهجتــه، وتبــدل

[1] (?) مدارج السالكين (2/ 181-184) بتصرف.

بالمرارة حلاوته، وتكدر صفوه.

والشـــــرط الثـــــالث: الخلاص من المسـألة للخلق والإلحـاح، قـال تعـالى: ﴿ **يَحْسَـبُهُمُ الْجَاهِـلُ أَغْنِيَـاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْـرِفُهُمْ بِسِـيمَاهُمْ لَا يَسْـأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا**﴾ [البقـرة: 273]، قـال ابن عبـاس: إذا كـان عنـده غـداء لم يسـأل عشـاء، وإذا كان عنده عشاء لم يسأل غداء.

* من أعظم أسباب حصول الرضا *

ومن أعظم أسـباب حصـول الرضـا: أن يلـزم ما جعل الله رضـاه فيـه، فإنه يوصـله إلى مقام الرضا ولا بد.

قيل ليحيي بن معاذ: مـتى يبلغ العبد إلى مقـام الرضـا؟ فقـال: إذا أقـام نفسه على أربعة أصول فيما يعامل به ربه، فيقـول: إن أعطيتـني قبلت، وإن منعتـني رضـيت، وإن تركتني عبدت، وإن دعوتني أجبت.

*سعادة وشقاء *

إن الـذي يرضى بقضـاء الله (جل وعلا) فإن الله يملأ قلبه سعادة وسرورًا ورضًـا... وإن الذي يتسخط ويعترض على قضـاء الله

فإنه يعيش في شقاء لا يعمله إلا الله.

تأمل معي عندما أصيب عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - بالعمى في آخر أيام... فإذا به يقول تلك الكلمات التي تعبر عن غاية الرضا عن قضاء الله وقدره...

قال ابن عباس:

إن يأخذ الله من ففي لساني

قلبي ذكيٌّ وعقلي وفي فمي صارم

وهذا بشار بن برد يقول أيضًا:

وعيَّرني الأعداءُ فليس بعار أن

إذا أبصر المرءُ فإن عمى العينين

رأيت العمى أجرًا وإني إلى تلك

انظر إلى الفرق بين كلام ابن عباس وبشار، وبين ما قاله صالح بن عبد القدوس لما عمي:

على الدنيا السلامُ ضرير العين في

يموتُ المرءُ وهو ويُخلف ظنَّه الأملُ

يُمنيني الطبيبُ فإن البعض من

إن القضاء سوف ينفذ لا محالة، على القابل له والرافض له، لكن ذاك يؤجر

ويسعد، وهذا يأثم ويشقى [1].

أرض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس

* **أخي الحـــبيب:** عليك أن تقنع بما قسم لك من جسم ومـــال وولد وســـكن وموهبــة، وهــذا منطق القــرآن ﴿**فَخُــذْ مَا آَتَيْتُــكَ وَكُنْ مِنَ الشَّــاكِرِينَ**﴾ [الأعــراف: 144]، إن غالب علماء السلف وأكثر الجيل الأول كانوا فقراء، لم يكن لــديهم أعطيــات ولا مساكن بهية، ولا مراكب ولا حشم، ومع ذلك أثـــروا الحيـــاة وأســـعدوا أنفســـهم والإنســانية، لأنهم وجهــوا ما آتــاهم الله من خــير في ســبيله الصــحيح، فبــورك لهم في أعمارهم، وأوقاتهم ومــواهبهم، ويقابل هــذا الصنف المبارك طائفة أُعطــوا من الأمــوال والأولاد والنعم، فكـــانت ســـبب شـــقائهم وتعاســـتهم؛ لأنهم انحرفـــوا عن الفطـــرة السوية، والمنهج الحق، وهذا برهان ســاطع على أن الأشياء ليست كل شيء، انظر إلى من حلم شــهادات عالميــة، لكنه نكــرة من النكرات في عطائه وفهمه وأثره، بينما تجد

[1] (?) لا تحزن (ص: 165).

آخرين عندهم علم محـدود، وقد جعلـوا منه نهرًا متدفقًا بالنفع والإصلاح والعمار.

إن كنت تريد السـعادة فـارض بصـورتك الــتي ركبــك اللــه فيهــا، وارض بوضــعك الأسـري، ومسـتوى فهمـك، ودخلـك، بـل إ، بعض المربين الزهاد يـذهبون إلى أبعـد من ذلك فيقولون لك: ارض بأقل ممـا أنت فيـه وبدون ما أنت عليه وأنشدوا:

سعادتك العظمى   مناك بحال دون

*** هـــــــــــاك قائمة رائعة مليئة بـاللامعين الـذين بخسـوا حظـوظهم الدنيوية:**

* عطـاء بن أبي ربـاح عـالم الـدنيا في عهـده، مـولى أســود أفطس أشل مفلفل الشعر.

* الأحنف بن قيس، حليم العرب قاطبة، نحيف الجســم، أحــدب الظهــر، أحــنى الساقين، ضعيف البنية.

* الأعمش محـدث الـدنيا، من المـوالي، ضـعيف البصـر، فقـير ذات اليـد، ممـزق الثياب، رث الهيئة والمنزل.

بل الأنبياء الكـرام صـلوات الله وسـلامه عليهم، كل منهم رعى الغنم، وكـــــان داود حــدادًا وزكريا نجــارًا وإدريس خياطًــا، وهم صفوة الناس وخير البشر.

* إذًا فقيمتك مواهبــك، وعملك الصــالح ونفعك وخلقـك، فلا تـأس على ما فـات من جمال أو مال، أو عيال، وارض بقســمة الله ﴿نَحْنُ قَسَــــمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَــــتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف: 32][1].

*** ثمرات الرضا اليانعة ***

وللرضا ثمرات إيمانية كثيرة وافــرة تنتج عنــه، يرتفع بها الراضي إلى أعلى المنـازل، فيصبح راسخًا في يقينـه، ثابتًا في اعتقـاده، وصادقًا في أقواله وأعماله وأحواله.

* وليعلم أن رضـــاه عن ربه ســـبحانه وتعــالى في جميع الحــالات، يثمر رضا ربه عنــه، فــإذا رضي عنه بالقليل من الــرزق، رضي ربه عنه بالقليل من العمــــــل، وإذا رضي عنه في جميع الحــــالات، واســـتوت عنــده، وجــده أسـرع شـيء إلى رضـاه إذا ترضاه وتملقه. ولـذلك انظر للمخلصـين مع

[1] (?) حدائق ذات بهجة (ص: 77-78).

قلة عملهم، كيف رضي الله سـعيهم لأنهم رضوا عنه ورضي عنهم، بخلاف المنـافقين، فـإن الله رد عملهم قليله وكثـيره، لأنهم سـخطوا ما أنـزل الله وكرهـوا رضـوانه، فأحبط أعمالهم.

* فالرضا يـوجب له الطمأنينـة، وبـرد القلب، وسـكونه وقـراره وثباته عند اضـطراب الشـبه والتبـاس القضـايا وكـثرة الـوارد، فـيرق هـذا القلب بموعـود الله وموعود رسوله ﷺ، ويقـول لسـان الحـال: ﴿ **هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُـولُهُ وَصَـدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْـلِيمًا**﴾ [الأحزاب: 22]، والسخط يوجب اضطراب قلبـه، وريبته وانزعاجـه، وعـدم قـراره، ومرضه وتمزقـه، فيبقى قلقًا ناقمًا سـاخطًا متمردًا، فلسان حاله يقول: ﴿**مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا**﴾ [الأحزاب: 12].

* والرضا يخلص العبد من مخاصمة الرب تعالى في أحكامه وأقضيته.

* والرضا يفتح له بـاب السـلامة، فيجعل قلبه سليمًا، نقيًّا من الغش والدغل والغـل،

ولا ينجو من عــــــذاب الله إلا من أتى الله بقلب ســـليم، وهو الســـالم من الشـــبه، والشك والشرك.

وســلامة القلب وبــره ونصــحه: قــرين الرضا وكـــذلك الحســـد: هو من ثمـــرات السـخط. وسـلامة القلب منـه: من ثمـرات الرضا فالرضا شـجرة طيبــة، تسـقى بمــاء الإخلاص في بستان التوحيد، أصلها الإيمــان وأغصانها الأعمال الصالحة، ولها ثمرة يانعة حلاوتها.

ومن ملأ قلبه من الرضا بالقـدر، ملأ الله صدره غنى وأمنًا وقناعة، وفرغ قلبه لمحبته والإنابة إليه، والتوكل عليــه، ومن فاته حظه من الرضــا، امتلأ قلبه بضد ذلــك، واشــتغل عما فيه سعادته وفلاحه.

والرضا يثمر الشــكر الــذي هو من أعلى مقامات الإيمان، بل هو حقيقة الإيمان. فإن غاية المنـازل شـكر المـولى ولا يشـكر الله من لا يرضى بمواهبه وأحكامــــه، وصــــنعه وتــدبيره، وأخــذه وعطائــه، فالشــاكر أنعم الناس بالاً، وأحسنهم حالاً.

والرضــــا يخـــرج الهـــوى من القلب،

فالراضي هواه تبع لمراد ربه منه، أعني المراد الذي يحبه ربه ويرضاه، فلا يجتمع الرضا واتباع الهوى في القلب أبدًا، وإن كان معه شعبة من هذا،وشعبة من هذا، فهو للغالب عليه منهما.

إن كان رضاكم فسلام الله على

﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: 84].

إن كان سركم ما أرضاكم وألم[1]

* والرضا يثمر للعبد محبة الله جل وعلا ورضوانه... وهي أعظم وأجل النعم في الدنيا والآخرة.

* والرضا أعظم دليل على حسن ظن العبد بربه جل وعلا.

* والرضا يجعل المؤمن في راحة نفسية وروحية دائمة.

* والرضا يخلص العبد المؤمن من الأزمات النفسية لأنه يشعر بالرضا التام عن قضاء الله (جل وعلا) وقدره.

* والرضا دليل على كمال الإيمان في قلب العبد المؤمن.

---

1 (?) مدارج السالكين (2/216-219) بتصرف شديد.

* ومن ثمــــرات الرضا الفــــوز بالجنة والنجاة من النار.

فأســـــأل الله (جل وعلا) أن يملأ قلوبنا رضًـا وأن يرضى عنا رضًـا لا يسـخط بعـده أبدًا.

وصــــلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصري

الفهرس